مجلة الباحث – المدرسة العليا للأساتذة الشيخ العلامة مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة: 2025	صفحات المقال: 367–378	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

بين الحكمة والجنون، استراتيجيات تداعي النسق الثقافي لحكايات بهلول في كتاب "عقلاء المجانين" للنيسابوري (ت.406هـ)

Between Wisdom and Madness: Strategies of Cultural Pattern Deconstruction in Bahloul's Tales from Al-Naysaburi's 'book "Oqalaa' al-Majaneen" "The Wise Fools"

د.صباح غرايبية

جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة (1)، الجزائر

sabah.gheraibia@umc.edu.dz

تاريخ الإرسال: 2025/04/17 تاريخ القبول: 2025/07/12 تاريخ النشر: 30 /2025/09

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن استراتيجيات تداعي النسق الثقافي في حكايات بهلول، كما وردت في كتاب "عقلاء المجانين" للنيسابوري، مركزة على ثنائية الحكمة والجنون كمدخل لفهم الخطاب النقدي والاجتماعي في العصر العباسي، وتهدف إلى استكشاف كيفية توظيف هذه الثنائية في نقد السلطة والمجتمع والدين.

وكشفت نتائجها عن تداخل الأنساق الثقافية في حكايات بهلول، وتمكن استراتيجيات تداعي النسق الثقافي من تقويض المفاهيم التقليدية، ونقد السلطة وكشف التناقضات الاجتماعية، مما جعلها أداة فعالة لنقد المجتمع، فاتحة آفاقًا جديدة للبحث في التراث العربي الإسلامي.

الكلمات المفتاحية:

الحكمة، الجنون، حكايات بهلول، عقلاء المجانين، النسق الثقافي.

ABSTRACT:

This research aims to reveal the strategies of cultural pattern in the tales of Bahlool, as presented in the book Oqalaa' al-Majaneen' by Al-Nisaburi. It focuses on the duality of wisdom and madness as an entry point to understanding the critical and social discourse in the Abbasid era. It seeks to explore how this duality is employed to critique authority, society, and religion.

The findings revealed the interweaving of cultural pattern, demonstrating how the duality of wisdom and madness undermines traditional concepts, critiques authority, and exposes social contradictions. This made the tales of Bahlool an effective tool for social critique, opening new horizons for research in Arab-Islamic heritage.

***Keywords*:**

Wisdom, Madness, Bahloul's Tales, The Wise Fools, Cultural Pattern

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة: 2025	صفحات المقال: 367–378	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

1. مقدمة:

ضمن نسيج الثّقافة العربيّة الأصيل والمتشابك الذي ميّز العصر العبّاسي الأول(132ه/232ه)، تبرز شخصيّة "بهلول" كنموذج فريد يجمع بين التناقضات الظاهرية، متحدّيا الحدود التقليدية بين الحكمة والجنون. ليمثل ظاهرة ثقافية واجتماعية غنية بالدّلالات، تستحق الدّراسة والتّحليل العميق لما تحمله من أبعاد فكرية وفلسفية تتجاوز حدود زمانها ومكانها.

وترجع أهميّة دراسة حكايات بهلول لاعتبارها مرآة تعكس النّسق الثّقافي السّائد، من خلال براعة المزج بين أسلوبي السّخرية النّاجمة عن اصطناع فعل الجنون والحكمة المستترة خلفها. فبهلول الذّي يعرف "بالعاقل المجنون" أو "المجنون العاقل" يمثل وبجدارة شخصيّة متعددة الأبعاد تتحدى التصنيفات التقليدية الجاهزة، وتدفع المتلقي إلى إعادة النظر في مفاهيم العقل والجنون والحكمة، وبذلك تمتد التداعيات الثقافية لحكاياته لتشمل جوانب متعددة من الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية في العصر العباسي، من خلال نوادره وأقواله المأثورة نستطيع استشفاف نقده للسلطة، وتعليقه على الأوضاع الاجتماعية، وتأمله في القيم الإنسانية الأساسية. ولعل ما يميز هذا النقد أنه يأتي مغلفاً بغلاف من الجنون الظاهري، مما يمنحه حصانة من الملاحقة ويزيد من تأثيره في الوقت نفسه.

وانطلاقا من هذا التداخل الفريد بين الحكمة والجنون الذي يميز شخصية بهلول ودوره العاكس والناقد للنسق الثقافي في العصر العباسي الأول، تتحدد الإشكالية المحورية لهذا البحث في التساؤل عن كيفية تجلّي تداعي النسق الثقافي في حكاياته، وماهي الاستراتيجيات التي أسست له؟

وللإجابة عنها يستند هذا العمل على حكايات بهلول الواردة في كتاب "عقلاء المجانين "للنيسابوري، ويتخذها مرتكزا للتحليل، بغية اكتشاف الخطاب النقدي المبطن في هذه الحكايات، وكيفية تعاملها مع قضايا السلطة والمجتمع والدين في ذلك الوقت.

2. الحكمة والجنون في التراث العربي القديم:

تمثل ثنائية الحكمة والجنون مزيجًا غنيًا وثريًا ينبع من تداخل المفاهيم وتعقيدها؛ فهما يعكسان وعيًا عميقًا بالطبيعة البشرية والمجتمع. والجدير بالملاحظة أن مفهوم الجنون لم يكن أحادي البعد في التراث العربي، بل كان له أبعاد متنوعة تقابلها أسماء وتفسيرات مختلفة؛ فمن دلالة الاستتار لغةً[1]، إلى معاني الحمق والجذب والبلاهة، نجد أن الجنون في الثقافة العربية الإسلامية يتخذ أشكالًا متعددة[2]، كل منها يحمل دلالات خاصة ويعكس جانبًا من جوانب الوعي الجمعي بالعقل والجنون.

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة: 2025	صفحات المقال: 367–378	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

أما الحكمة فهي تجسيد لخلاصة التجارب الإنسانية وعصارة الفكر المتأمل في الكون والحياة "تهدف إلى النصح والإرشاد والموعظة، وتأتي تعبيرا عن تجربة ...وطول تأمل وتبصر بأمور الحياة "[3]. وترتبط الحكمة في التراث العربي الإسلامي ارتباطًا وثيقًا بالمعرفة العميقة والبصيرة النافذة، متجاوزة التكثيف اللغوي والدلالي إلى غايات أسمى مرتبطة بتحقيق الخير والصلاح للفرد والمجتمع .

وبين الحكمة والجنون يمتد فضاءٌ واسعٌ لالتقاء الفطنة والتحامق، وسيرورة خاصة لخطاب مشحون بالدّلالات ومرتكز على حمولة نسقيّة غنية لروافد، متنوعة التجليات والصور؛ حيث تتلاقى المتناقضات وتتولد المعاني الجديدة. فالمجنون قد يكون في حقيقته حكيمًا يتخفى وراء قناع الجنون ليقول ما لا يستطيع العاقل قوله، والحكيم قد يبدو في نظر المجتمع مجنونًا لخروجه عن المألوف وتحديه للأعراف السائدة. وفي هذا السياق تبرز شخصيات مثل بهلول وغيره من "العقلاء المجانين" كنماذج فريدة تجسد هذا التداخل وتستثمره في نقد المجتمع وكشف عيوبه بطريقة آمنة.

3. فاعلية حضور شخصية بهلول في التراث العربي:

قد لا يخفى على المنشغلين بالنص التراثي الحضور اللافت والمميز لشخصية بهلول كأحد أبرز الشخصيات التراثية في الثقافة العربية والإسلامية، فقد مثلت (الشخصية) نموذجاً فريداً للحكيم المجنون أو العاقل المتظاهر بالجنون. وفي سياق التعريف به [4]يذكر باسمه الكامل "بهلول بن عمرو الصيرفي الكوفي" أو" أبو وهب بهلول بن عمرو الصيرفي الكوفي" (ت 190) ، ولد بالكوفة (العراق) وكان شاعرًا حكيمًا، وملما بفنون القول والحكمة والمعرفة والأدب، وقد تظاهر بالجنون لكي يتخلّص من متابعة الخلفاء العباسيين له فتصرّف تصرّف المجانين والدراويش واشتهر بين الناس بحكمته العميقة وذكائه الحاد.

وإذا أمعنا النظر في مصنفات التراث العربي ألفينا حضور بهلول فيها واسع النطاق ومتعدد الأوجه، ونلمس عناية المؤلفين القدماء بشخصيته، وتستوقفنا مؤلفات نفيسة على غرار "عقلاء المجانين للنيسابوري"[5]، و"أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي"[6]، و"سراج المريدين في سبيل الدين "لابن عربي المعافري الإشبيلي (ت543ه)،[7] التي عكست بشكل أو بآخر أهميتها المحورية في الثقافة العربية والإسلامية، لاسيما وأن شخصية بهلول قد مثلت نقطة التقاء للعديد من التيارات الفكرية والأدبية والدينية. ليس ذلك فحسب بل نُسبت إليه العديد من القصص والنوادر والأشعار، مما جعل شهرته تجوب الآفاق شرقا وغربا، فأصبح بذلك رمزاً للحكمة المستترة والنقد الاجتماعي اللاذع الذي يجمع بين الحكمة والطرافة.

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة: 2025	صفحات المقال: 367–378	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

لقد امتد أثر شخصية بهلول في النسيج الثقافي العربي والإسلامي امتداداً عميقاً وواسعاً، متجاوزاً حدود عصره ليترك بصمته على أجيال متعاقبة، فتغلغلت حكاياته وأقواله المأثورة في أعماق الوعي الجمعي العربي لتصبح جزءاً لا يتجزأ من الموروث الشعبي والأدبي له، ويمكن تصنيفه تبعا لذلك في ثلاثة مستويات رئيسة يعكس كل واحد منها جانباً من جوانب حضور بهلول في الذاكرة الثقافية:

- **أولاً–المستوى الأدبي:** أصبحت قصص بهلول ونوادره مادة خصبة للأدباء والكتّاب عبر العصور، يستلهمون منها ويعيدون صياغتها بما يتناسب مع سياقات عصورهم.
- **ثانياً–المستوى الفكري والفلسفي:** عُدّت حِكَم بهلول وتأمّلاته منبعاً للتّفكر في قضايا الوجود والمجتمع، وأساساً لنقد الأوضاع السّياسية والاجتماعية بأسلوب غير مباشر.
- **وثالثاً–المستوى الشعبي:** تحولت فيه شخصية بهلول إلى رمز شعبي للحكمة المستترة خلف قناع الجنون، وأصبحت حكاياته جزءاً من التراث الشفهي المتداول في الأوساط الشعبية.

ولعل هذا التأثير الكبير لشخصية بهلول مستمد من أهمية بهلول في حد ذاته، وقدرته على تجسيد التناقضات الاجتماعية والفكرية في المجتمع العربي الإسلامي؛ فهو يمثل صوت الحكمة والعقل في مواجهة الظلم والجهل، ويعكس التوتر بين المثل العليا والواقع المعاش، ناهيك عن كونه شخصية محورية في نقد السلطة وكشف عيوب المجتمع، في إطار يحتكم إلى روح الدعابة والظرف.

4. كتاب "عقلاء المجانين" للإمام النيسابوري (ت 406هـ):

يصنف كتاب عقلاء المجانين كواحد من أهم كتب التراث العربي التي عرضت لظاهرة العقلاء المجانين على اختلاف أصنافهم وبيئاتهم بأسلوب ومنهج سلس، محبب إلى القلب مداعب للعقل، ويمكن تحديد أهم سمات هذا المصنف في النقاط التالية:

أ) **منهج النيسابوري في وضع الكتاب:** اعتمد النيسابوري على جمع الروايات والأخبار من مصادر متنوعة، مع تركيزه على الجانب الأدبي والحكمي.

ب) **التقسيم:** قسم الكتاب إلى أبواب وفصول، كل منها يتناول جانباً من جوانب حياة العقلاء المجانين أو نوعاً من أنواع حكمهم.

ت) **المحتوى:** أحاط الكتاب بجميع أركان موضوع العقلاء المجانين التي تُبين عنه وتكشفه متضمنا:

- تعريفات وتوضيحات لمفهوم العقل والجنون
- قصص وحكايات عن العقلاء المجانين.
- أقوال مأثورة وحكم منسوبة إليهم.
- مواقف طريفة وعجيبة لهؤلاء الشخصيات.

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة: 2025	صفحات المقال: 367–378	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

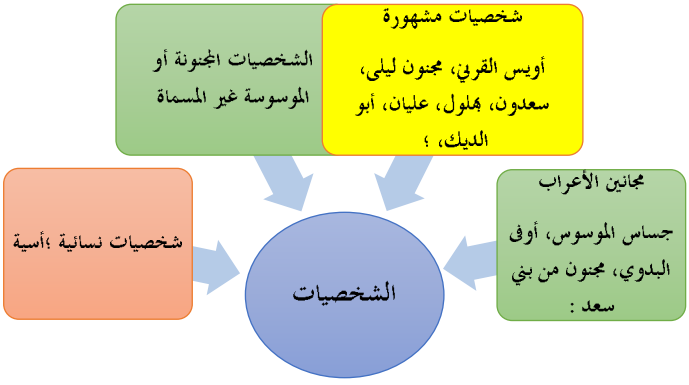
وقد عرضت جميعها بأسلوب أدبي سلس، يجمع بين السرد القصصي والحوار والتعليق؛ مما يجعل المؤلف ذو طابع توثيقي يبرز الحكمة الكامنة وراء تصرفات هؤلاء المجانين في التراث الإسلامي.

وفي قراءة سريعة في العنوان والمتن؛ تستوقفنا المفارقة العجيبة في عنوان الكتاب الأصلي (عقلاء المجانين)؛ التي تشير إلى أن الكتاب يتناول مفهوم الجنون بطريقة أعمق، مرتبطة بالحكمة والعقل في سياق الثقافة الإسلامية، كما يوحي بأن التحليل سيتناول تصنيفات مختلفة للجنون وارتباطها بمفاهيم الحكمة في هذا السياق الثقافي المحدد، وهو تماما ما يُلمح في فهرس كتابه الذي يعلن عن نظرة صاحبه الشاملة والمتعمقة لموضوع الجنون في التراث العربي الإسلامي، ويمكن تصنيف محتواه على النحو التالي:



الشكل 1. مضمون كتاب عُقلاء المجانين للنيسابوري (من إعداد الباحثة)

استنادا إلى تصنيف المجانين، وبالعودة إلى فصول الكتاب تتبين القيمة العلمية والأدبية لهذا المصنف والتي أسهمت في التأسيس لها. لقد أولى النيسابوري في تحليله لشخصيات عقلاء المجانين اهتماما بالغا بالتنوع الذي يسم هذه الفئة، فلم يكتف بسرد أخبارهم وتتبع نوادرهم وأقوالهم فحسب، بل تعمق في استكشاف مظاهرهم ودلالاته أفعالهم وأقوالهم، ليصنفهم تبعا لذلك وفق معايير تتجاوز حدود الجنون الظاهري الشائع والمعروف. فهو–النيسابوري– يربط هذه الشخصيات بمحددات خارجية تمنحها أبعادا اجتماعية وثقافية وتاريخية أكثر عمقا وتأثيرا.



الشكل 2.الشخصيات الواردة في كتاب عقلاء المجانين للنيسابوري (من إعداد الباحثة)

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة: 2025	صفحات المقال: 367–378	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

بداية؛ يميز النيسابوري بين شخصيات تجاوزت شهرتها الآفاق مثل "مجنون ليلى" الذي تحكي قصته أسطورة الهيام وتحمل علامات دالة على الجنون المرتبط به، و"بهلول" الذي اشتهر بذكائه الحاد وراء قناع البلاهة، وسعدون الذي قد تمثل نوادره طابعا خاصا يستهوي الذاكرة الشعبية. وبين شخصيات أخرى أقل شهرة، لكنها قد تكون معروفة في محيط اجتماعي أو جغرافي أضيق، مثل أبو الديك، وفليت، وجعيفران، مما يشير إلى أن ظاهرة "عقلاء المجانين" لم تقتصر على الأسماء اللاّمعة بل كانت أوسع حضورا وانتشارا في مجتمعات البصرة، الموصل، دمشق، ومصر، مما يؤكد على انتشار الظاهرة وتنوع بيئاتها.

ولأن فعل الجنون والقول الحكيم أو الساخر هو مدار الاهتمام، لم يغفل النيسابوري عن ذكر شخصيات مجهولة أشار إليها بصفة عامة بعبارة "مجنون" أو "شاب مجنون"، متجاوزا هوية القائل للتركيز على دلالات أفعاله وأقواله. ورغم قلة حضورهن في هذا السياق، يذكر الكتاب بعض الشخصيات النسائية مثل ريحانة، آسية، وحيّونة، مما يفتح نافذة في هذه الحكايات على دور المرأة سواء كفاعل رئيس أو كجزء من السياق العام لها. وعلاوة على ذلك، يمعن النيسابوري في التركيز على التنوع الاجتماعي للشخصيات التي يتناولها لتشمل شيوخًا وقورين، وشبابًا مندفعًا، وأطفالًا ببراءتهم، ونساءً بحكمتهن الفطرية، وأعرابًا بفصاحتهم، وحضريين بدرايتهم، مما يعكس فسيفساء المجتمع وتفاعلاته المختلفة مع هذه الظاهرة. لافتا الانتباه إلى أصولها سواء كانت قبلية أو مدنية، فيشير إلى "مجنون من بني سعد"، مما يربط الشخصية بجذورها الاجتماعية والثقافية ويحتمل أن يفسر بعض جوانب سلوكها أو طريقة تفكيرها في ضوء تلك الخلفية.

وفي سياق أعمق يتداخل الكتاب مع التاريخ من خلال ذكر بعض الشخصيات التاريخية المعروفة مثل الحجاج بن يوسف الثقفي، مما يضع هذه القصص في إطار زمني وحضاري محدد، ويثري فهمنا للعلاقة بين السلطة والمجتمع وبين العقل والجنون في تلك الحقبة.

ولعل هذا العرض المنهجي الشامل والمتكامل للكتاب، يمكن صاحبه من تجاوز السرد المجرد لمجموعة من الحكايات الطريفة عن "عقلاء المجانين"، ليرسم صورة بانورامية لهذه الفئة في المجتمع، محللًا أبعادها المختلفة وصلاتها المتشعبة بالواقع الاجتماعي والتاريخي والثقافي.

5. تنوع وانفتاح الأنساق الثقافية في حكايات بهلول:

انطلاقا من دلالة لفظ "النسق "اللغوية إلى "وضع الشيء في سياق متسلسل ومنتظم"[8]، وبالتقائه مع مفهوم الثقافة الذي يحيل على معاني " الفطنة والحذاقة والسعة في تلقف العلم"[9]، يتولد مفهوم النسق الثقافي ليشمل" النظم الاجتماعية والدينية والثقافية المتفاعلة فيما بينها والتي يكتسبها الانسان في مجتمع ما، وهي ذات صلة وثيقة في إنتاج اي خطاب ابداعي كان أو فكري [(10)]. إنّ تحديد النسق الثقافي لا يتأتى بجوده فحسب، بل عبر وظيفته في النص، والتي تفترض وجوبا[11]:

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة: 2025	صفحات المقال: 367–378	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

- وجود نسقين متعارضين أحدهما ظاهر والآخر خفي في نص واحد
- أن يكون المضمر في النص نقيضا وناسخا للعلني.
- أن يكون النص جميلا ويستهلك بوصفه جميلا
- أن يكون النص جماهيريا، ويحظى بمقروئية خاصة

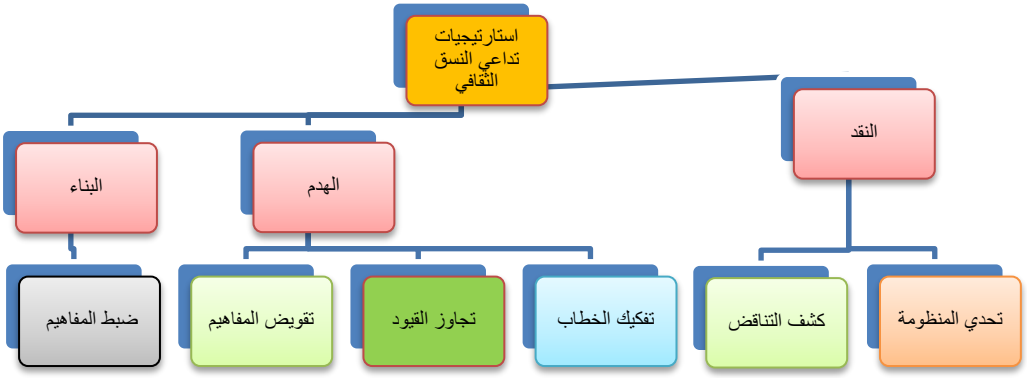
وهي الشروط التي تتوفر في حكايات بهلول ضمن كتاب عقلاء المجانين للنيسابوري؛ التي توزعت بين الخبر، والحكاية والشعر[12]، في سبع وعشرين نصا عكس ثراء وتنوع الثقافة الإسلامية بشكل ملفت. بالإضافة إلى ذلك خصوصية العلاقة التي تربط النسق بفعل السرد ومضمونه "فالنسق ذو طبيعة سردية يتحرك في حبكة متقنة، لذلك هو قادر على الاختفاء دائما"[13]، وعليه فإن خطاب الحكايات يتأسس وفق منظور تتداخل فيه الأنساق الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية في نسيج متكامل، ويكشف التمعن في الأنساق الواردة في الحكايات عن:

1. **بروز النسق الديني** بوصفه دعامة محورية في أغلب الحكايات[14]، مؤكداً على مركزية الدين في المجتمع الإسلامي آنذاك، وتتنوع المواضيع الدينية من التوكل على الله، إلى أهمية العمل الصالح والإخلاص في العبادة. لتحمل الحكايات نقداً اجتماعياً وسياسياً لاذعاً، خاصة في تعامل بهلول مع الخليفة هارون الرشيد، مما يعكس فاعلية دور "المجانين الحكماء" في التعبير عن النقد المرتبط بالأخلاق والدين بطريقة غير مباشرة، تؤدي الغرض وتحفظ الحياة.
2. **ظهور النسق الثقافي**[15] بشكل مميز عند توظيف قالبي الشعر والحكمة، مما يبرز أهمية الأدب في نقل الرسائل الأخلاقية والاجتماعية، فتتجلى حينئذ القيم الاجتماعية مثل التواضع والزهد والتسامح، عاكسة المثل العليا التي كان المجتمع الإسلامي يتطلع إليها.
3. **تداخل الأنساق وتشابكها** في جميع الحكايات، ولعل مرد ذلك إلى أن تداعي النسق داخل البنى (الحكائية) يتيح إمكانية لتوالد أنساق أخرى بالغة التفاعل والتشابك؛ فيأتي النقد السياسي في إطار ديني أو اجتماعي، تؤطرهما شخصية بهلول بوصفه الحكيم المجنون القادر على نقد السلطة والمجتمع تحت غطاء الجنون، مما يجسد ظاهرة ثقافية واجتماعية فريدة في التراث الإسلامي.

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة: 2025	صفحات المقال: 367–378	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

6. استراتيجيات تداعي النسق الثقافي في حكايات بهلول:

تمثل ثنائية الحكمة والجنون في شخصية بهلول نقطة محورية في فهم تداعيات النسق الثقافي في حكاياته؛ إذ تشكل أداة قوية لنقد المجتمع وكشف تناقضاته، مما يسمح بتداعي النسق الثقافي السائد بطرق متعددة ومعقدة عبر استراتيجيات فاعلة.



الشكل 3.استراتيجيات تداعي النسق الثقافي في كتاب عقلاء المجانين للنيسابوري (من إعداد الباحثة)

أ) **تقويض مفاهيم العقل والجنون:** تعمل حكايات بهلول على تقويض المفاهيم التقليدية للعقل والجنون في النسق الثقافي السائد. فبهلول رغم وصفه بالمجنون يظهر حكمة تفوق ما يُتوقع من "العقلاء"، وربما هذا التناقض الظاهري هو ما يدفع المتلقي إلى إعادة النظر في تعريفات العقل والجنون ، فمثلا في الحكاية الأولى، نرى بهلولاً في المقابر يقول :"أجالس أقواما لا يؤذونني وإن غبت عنهم لا يغتابونني" [16]، فيستوقفنا هذا القول الذي قد يبدو "مجنوناً" للوهلة الأولى لما يحمله من حكمة عميقة تنتقد سلوكيات المجتمع "العاقل"، وهكذا يتداعى النسق الثقافي الذي يحدد معايير العقل والجنون ،مما يفتح المجال لرؤية أكثر عمقاً للحقيقة الإنسانية المليئة بالتناقضات ، التي لطالما أثارت الدهشة والجدل.

ب)**نقد السلطة تحت غطاء الجنون:** استتر بهلول بثنائية الحكمة والجنون لينتقد السلطة بجرأة لا تتوفر للآخرين، وكأنما صفة "المجنون" تمنحه حصانة من العقاب، بينما تسمح له حكمته بتوجيه نقده اللاذع، وهو ما نستشفه من الحكاية الثانية حين نرى بهلولاً يخاطب الخليفة هارون الرشيد بقوله:" يا أمير المؤمنين من رزقه الله مالا وجمالا فعف في جماله وواسى في ماله كتب في ديوان الأبرار"[17]، فهذه النصيحة الحكيمة الموجهة تحت غطاء الجنون تتحدى النسق السياسي القائم على الخوف والمجاراة وتذكر الحاكم بمسؤولياته الأخلاقية.

ت)**كشف التناقضات الاجتماعية:** في الحكاية الخامسة استُخدمت ثنائية الحكمة والجنون لكشف التناقضات في النسق الاجتماعي؛ فبهلول وبصفته "مجنوناً" يستطيع أن يقول ما لا يستطيع "العقلاء" قوله مسلطا الضوء على عيوب المجتمع، ونلمح ذلك عندما يدعو بهلول للرشيد قائلاً:" اسأل الله أن يرزقك ويوسع عليك من

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة: 2025	صفحات المقال: 367–378	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

فضله"ثم يعلق على ذلك بقوله:"ما في الدنيا أحب إلى أمير المؤمنين من الدراهم" فهذا التناقض بين الدعاء الظاهري والتعليق الساخر يكشف عن حقيقة الطمع والمادية في المجتمع حتى على أعلى مستويات السلطة.

ث)**تحدي المنظومة القيمية**: تسمح ثنائية الحكمة والجنون لبهلول بتحدي المنظومة القيمية السائدة وتقديم بديل لها، فهو يقدم قيماً تتجاوز المفاهيم المادية والسطحية للمجتمع؛ إذ نرى بهلولا في الحكاية الثامنة يعرف السخاء الحقيقي بقوله: "لا يطلع على قلبك وأنت تريد منه شيئا بشيء[18]"، وهو بذلك يتحدى المفهوم السائد للسخاء كمجرد عطاء مادي، ليقدم رؤية أعمق للإخلاص والعطاء الروحي، ويسهم في الارتقاء بهذه المنظومة القيمية ويدفع باتجاه سمو مجتمعه.

ج) **ضبط مفهوم الحكمة**: من خلال ثنائية الحكمة والجنون، تعيد حكايات بهلول تعريف مفهوم الحكمة نفسه؛ فالحكمة لا تأتي بالضرورة من المصادر التقليدية للمعرفة، بل قد تأتي من شخص يُنظر إليه على أنه "مجنون"، وهذا المعنى يتجسد بوضوح في الحكاية التاسعة، أين يظهر بهلول متسامحا مع الأطفال الذين يؤذونه، قائلاً": "فلعلي إذا مت يذكرون هذا الفرح فيقولون رحم الله ذلك المجنون"[19]! ، إنّ هذه الحكمة العميقة في التسامح والتفكير في الآخرة تتحدى المفاهيم التقليدية للعقل والتصرف "العاقل "،وتحيي في النفس والمجتمع صفات غطت تراكمات الحياة وضغوطها وهجها حتى كادت تنسى.

ح) **تفكيك الخطاب الديني الرسمي**: تمكنت ثنائية الحكمة والجنون من تفكيك الخطاب الديني الرسمي وتقديم فهم أعمق للدين ،فغطاء الجنون الذي يستتر به بهلول قد مكنه في كثر من موقف من تقديم تفسيرات وتأويلات تتجاوز الفهم السطحي والتقليدي للنصوص الدينية –الذي كان شائعا في وقته –ففي الحكاية العاشرة مثلا نرى بهلولاً يدافع عن الصحابة بطريقة تتجاوز الخلافات المذهبية قائلا :" إياك يا صباح فإنهما جبلا الإسلام وكهفاه ومصباحا الجنة وحبيبا محمد صلى الله عليه وسلم و ضجيعاه وشيخا المهاجرين وسيداهم، وهنا يتحدى بموقفه الانقسامات الطائفية ويدعو إلى فهم أشمل للتاريخ الإسلامي الذي يحفظ مكانة الخفاء والصحابة والتابعين

خ) **تجاوز القيود الاجتماعية**: من خلال ثنائية الحكمة والجنون تقدم حكايات بهلول نموذجاً بديلاً للطبائع والأخلاق فبهلول بحكمته المغلفة بالجنون، يعيش حياة تتجاوز القيود الاجتماعية والمادية التي يفرضها النسق الثقافي السائد، في الحكاية السابعة نرى هذا النموذج البديل في شعر بهلول:"حقيق بالتواضع من يموت ... وحسب المرء من دنياه قوت" في هذا البيت تظهر رؤية بهلول الزاهدة في الحياة وهي تتحدى النسق الثقافي السائد والقائم على التنافس المادي والسعي وراء السلطة والثروة فيها.

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة: 2025	صفحات المقال: 367–378	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

7. الخاتمة:

تمثل دراسة شخصية بهلول وحكاياته في التراث العربي الإسلامي نافذة مهمة لفهم تداعيات النسق الثقافي في العصر العباسي وما بعده؛ فمن خلال ثنائية الحكمة والجنون، قدمت هذه الشخصية الفريدة نموذجًا للنقد الاجتماعي والسياسي والديني، متجاوزة القيود التقليدية للتعبير والفكر. وقد كشفت هذه الدراسة عن عدة استنتاجات مهمة:

1. تعكس ثنائية الحكمة والجنون في التراث العربي وعيًا عميقًا بتعقيدات النفس البشرية والواقع الاجتماعي، متجاوزة التصنيفات البسيطة للعقل والجنون
2. تمتد جذور شخصية بهلول عميقًا في التراث العربي الإسلامي، حيث تغلغلت حكاياته وأقواله في الوعي الجمعي العربي، مشكلة جزءًا لا يتجزأ من الموروث الشعبي والأدبي.
3. يبرز كتاب "عقلاء المجانين" للنيسابوري كمصدر مهم في توثيق ظاهرة العقلاء المجانين، مقدمًا نظرة شاملة ومتعمقة لموضوع الجنون في التراث العربي الإسلامي.
4. تتداخل الأنساق الثقافية في حكايات بهلول بشكل ملفت، حيث تتشابك الأبعاد الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية في نسيج متكامل.
5. يبرز النسق الديني كعنصر محوري في معظم حكايات بهلول، مؤكدًا على مركزية الدين في المجتمع الإسلامي آنذاك.
6. سمحت ثنائية الحكمة والجنون في شخصية بهلول بتداعي النسق الثقافي السائد من خلال تقويض المفاهيم التقليدية، ونقد السلطة، وكشف التناقضات الاجتماعية، وتحدي المنظومة القيمية، وإعادة تعريف الحكمة، وتفكيك الخطاب الديني الرسمي.
7. شكلت هذه الثنائية أداة قوية لنقد المجتمع وإعادة النظر في الأفكار والممارسات السائدة، مما يجعل حكايات بهلول ذات أهمية كبيرة في فهم وتحليل النسق الثقافي في العصر العباسي وما بعده.

إن دراسة شخصية بهلول وحكاياته كمدخل لفهم أعمق للثقافة العربية الإسلامية وآليات النقد والتغيير فيها، تفتح آفاقًا جديدة للبحث في مجالات الأدب والنقد الثقافي والدراسات الاجتماعية في التراث العربي، الذي يتسم بالثراء والتعدد والانفتاح على جميع المناهج السياقية والنسقية.

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة: 2025	صفحات المقال: 367–378	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

8.الهوامش:

[1] ابن منظور محمد بن مكرم، **لسان العرب**، (دت)، (دط) طبعة دار المعارف، مادة (ج ن ن)

[2] الزمخشري أبو القاسم محمود جار الله (ت538ه)، **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**(ج2)، تحقيق: عبد الأمير مهنا،1992، ط1، بيروت، لبنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ص ص (39–46)

[3] سراج الدين محمد، **الحكمة في الشعر الجاهلي**، (دت)، (دط)، بيروت، لبنان، دار الراتب الجامعية، ص5.

[4] ينظر: الزركلي الدمشقي خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (ت 1396هـ)، **الأعلام** (ج2)، 2002، ط2، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، ص 77.

[5] النيسابوري أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب (ت 406ه ـ): **عقلاء المجانين**، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، 1985، ط1، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

[6] الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ)، **أخبار الحمقى والمغفلين**، شرح: عبد الأمير مهنا، 1990، ط1، بيروت، لبنان، دار الفكر اللبناني.

[7] ابن العربي المعافري الإشبيلي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد (ت 543ه)، **سراج المريدين في سبيل الدين**، ضبط وتخريج: عبد الله التوراتي،2017، ط1، طنجة–المغرب، دار التحديث الكتانية، ص16

[8] ابن منظور محمد بن مكرم، **لسان العرب**، ج10، مادة (ث ق ف)

[9] بن النبي مالك، **مشكلة الثقافة**، ترجمة شاهين عبد الصبور،1084، ط4، دار الفكر – الجزائر /سورية، ص19.

[10] ينظر: الكعبي رائد حاكم شرار، **تداخل الأنساق الثقافية في كتاب الأغاني،2013**"رسالة ماجستير"، جامعة بابل، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ص **7**

[11] المصباحي عبد القادر، **النقد الثقافي من النسق الثقافي إلى الرؤيا الثقافية** ،2015، ط1، بيروت، لبنان، مؤسسة الرحاب الحديثة، ص ص (30، 31)

[12] ينظر: النيسابوري: عقلاء المجانين، ص ص (67–74)

[13] المرجع نفسه، ص 31.

[14] للتوسع تراجع الحكايات رقم 1، ،3، 4، 6، 8، 10، 12، 13، 14، 16، 20، 21، 22، 24، 25، 27؛ التي تظهر كيف يستخدم بهلول المفاهيم والتعاليم الدينية لنقد المجتمع وتقديم رؤى حكيمة، مما يجعل النسق الديني عنصراً أساسياً في خطابه وحكمته.

[15] للتوسع ترجى العودة إلى الحكايات رقم :1، 3، 7، 13، 16، 17، 23، 27. فجميعها تظهر بوضوح كيف استخدم بهلول الشعر والحكمة لنقل رسائل أخلاقية واجتماعية عميقة، عاكساً القيم الإسلامية السامية مثل التواضع، الزهد، التسامح، والقناعة.

[16] النيسابوري:عقلاء المجانين ،ص 67

[17] المصدر نفسه، ص 67

[18] المصدر نفسه، ص 68

[19] المصدر نفسه، ص69

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة: 2025	صفحات المقال: 367–378	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

9. قائمة المراجع:

- ابن العربي المعافري الإشبيلي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد (ت 543ه)، **سراج المريدين في سبيل الدين**، ضبط وتخريج: عبد الله التوراتي،2017، ط1، طنجة-المغرب، دار التحديث الكتانية.
- ابن منظور محمد بن مكرم، **لسان العرب**، (دت)، (دط) طبعة دار المعارف.
- الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ)، **أخبار الحمقى والمغفلين**، شرح: عبد الأمير مهنا، 1990، ط1، بيروت، لبنان، دار الفكر اللبناني.
- الزركلي الدمشقي خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (ت 1396هـ)، **الأعلام** (ج2)، 2002، ط2، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين.
- الزمخشري أبو القاسم محمود جار الله (ت538ه)، **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**(ج2)، تحقيق: عبد الأمير مهنا ،1992، ط1، بيروت، لبنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- سراج الدين محمد، **الحكمة في الشعر الجاهلي**، (دت)، (دط)، بيروت، لبنان، دار الراتب الجامعية.
- المصباحي عبد القادر، **النقد الثقافي من النسق الثقافي إلى الرؤيا الثقافية** ،2015، ط1، بيروت، لبنان، مؤسسة الرحاب الحديثة
- بن النبي مالك، **مشكلة الثقافة**، ترجمة شاهين عبد الصبور،1084، ط4، دار الفكر – الجزائر /سورية.
- النيسابوري أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب (ت 406ه ــ): **عقلاء المجانين**، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، 1985، ط1، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

الرسائل الجامعية:

- الكعبي رائد حاكم شرار، **تداخل الأنساق الثقافية في كتاب الأغاني**،2013"رسالة ماجستير"، جامعة بابل، كلية التربية للعلوم الإنسانية.